دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	أساليب الدبلوماسية في الإسلام
المصدر:	مجلة الدبلوماسي
الناشر:	وزارة الخارجية - معهد الأمير سعود الفيصل للدراسات الدبلوماسية
المؤلف الرئيسي:	فراج، جابر حمزة
المجلد/العدد:	ع 4
محكمة:	لا
التاريخ الميلادي:	1984
الشهر:	رجب - إبريل
الصفحات:	46 - 50
رقم MD:	274816
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	EcoLink
مواضيع:	المواثيق والعهود ، الشريعة الإسلامية ، الدبلوماسية الإسلامية ، حقوق الإنسان، العلاقات الدولية ، المبادئ الإسلامية ، التاريخ الإسلامي ، نظم الحكم ، الإسلام والسياسة ، السيرة النبوية
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/274816

© 2021 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

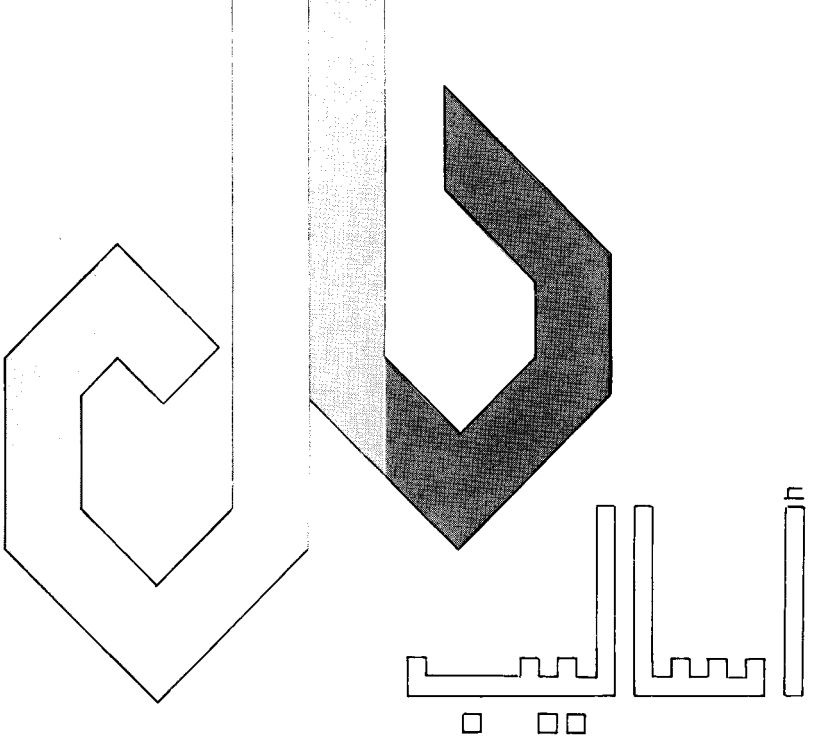

الدبلوماسية في الاسلام

ا. جابر حمزة فراج

كان الناس قبل الاسلام يعيشون فى جهالة عمياء . . وحياة كئيبة مظلمة . . لايعرفون للحق سبيلا . . ولا للمنطق طريقا . . وعندما تختلف آراؤهم . . وتتعارض مصالحهم . . تقوم بينهم المنازعات . . وينشأ الصراع الذى ينتهى غالبا بانتصار الأقوياء على الضعفاء . . وبذلك عمت الفوضى . . وانتشرت الهمجية . . وانقطعت الأواصر الاجتماعية . . فضاعت الحقوق واضطرب الأمن . . واختل النظام . . وانعدم السلام والاستقرار . . من أجل هذا اقتضت إرادة الله تعالى أن ينقذ البشرية من ضلالها . . وينتشلها من كربها وويلاتها . . فأنزل إليهم ديانة سمحاء . . وشريعة غراء . . على يد رسول عربى . . هو محمد بن عبدالله ﷺ الذى جاء معلما هاديا . . ورائدا مرشدا . . يوضح للناس معالم الحياة . . ويخرجهم من الظلمات إلى النور . . ويرتقى بهم إلى معارج الكمال . . ويبين لهم الحلال ويحثهم عليه . . ويرغبهم فيه . . ويظهر الحرام ينهاهم عنه ويحذرهم منه . . ذلك هو الاسلام الدين الحنيف

خاتم الديانات السماوية . . ويتميز الاسلام بأنه عقيدة وعمل . . عبادة ومعاملة . . دين ودنيا . . تطبيق وسلوك . . مادة وروح . . لذلك كله كان الاسلام صالحا لكل زمان ومكان . .

ولئن كان الاسلام يفرض علينا الالتزام بالنصوص الصريحة . . فقد ترك لنا مجالا واسعا فى الاجتهاد فيما يتعلق بحياتنا وشئون نظامنا بشرط أن يكون ذلك نابعا من الدين . . ممزوجا بالايمان . . حتى لا تتدخل المطامع الشخصية . . أو المآرب الذاتية . . وإذا كان الاسلام قد تناول شئون الحياة . . فإن الذى يعنينا فى مقالنا ـ الذى نحن بصدده ـ هو الجانب الدبلوماسى . .

ملامح الدبلوماسية فى الاسلام

لقد أثرى الاسلام الحضارة بالكثير فى شتى العلوم والمعارف وفى مختلف المجالات فى الطب، الهندسة، الفسلفة، التاريخ، الفلك، الرياضيات، التربية، القانون . . وغير ذلك . . ومن المؤكد أن القانون الدولى الحديث لم يصل أبدا إلى ما وصلت إليه الشريعة الاسلامية . . فالاعلان العالمى لحقوق الانسان الصادر عام ١٩٤٨ قد اعترفت ونادت به الشريعة الاسلامية منذ ظهورها بصراحة ووضح كما جاء بالآية الكريمة :

«يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عن الله أتقاكم»(١) . .

فهذه الآية المجيدة كانت أول نداء بحقوق البشر وجعلتهم جميعا سواسية كأسنان المشط . . لا فضل لأحد على غيره من الناس إلا بقدر ما عنده من الايمان والتقوى . . .

كذلك نرى أن الاسلام قد عرف نظام السفارة قبل أن تعرفه الدول الحديثة وقبل أن تقنن معاهدة فينا فى عام ١٩٦١ . . .

كما عرف النظام الاسلامى أسلوب كتابة المعاهدات . . وكان الامام على بن أبى طالب رضى الله عنه هو المتخصص فى كتابتها فى عهد الرسول عليه الصلاة والسلام . . وقد ظهر ذلك عند صلح الحديبية . . وقد تضمنت هذه المعاهدة كثيرا من الأمور التى وافق عليها الجانبان من المسلمين والمشركين . . ومما تضمنته الوثيقة عدم الحرب لمدة عشر سنوات . . وأن على المسلمين أن يردوا من أراد الدخول فى الاسلام . . ومن أقبل من المسلمين على الدخول فى الكفر فلا يرد إلى المسلمين . . وجاء فيها أيضا أن يعود المسلمون إلى المدينة على أن يسمح لهم بدخول مكة فى العام القادم . . .

ولو أننا نظرنا إلى اتفاقيات جنيف التى عقدت فى ١٩٤٦م والخاصة بحماية ضحايا الحرب فى البر والبحر وكذلك الأسرى وحظر أعمال الثأر والانتقام ضد المرضى والجرحى والغرقى . . لوجدنا أن الاسلام كان سباقا فى ذلك كله كما تشير إليه آيات القرآن الكريم كما قال تعالى :

«وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لايحب المعتدين» . .

وقوله تعالى : «فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين» . . وهذا أمر يلزم المسلمين بعدم تجاوز حدود الحق والعدل والرحمة . .

ولقد قال الرسول صلوات الله وسلامه عليه : «إياكم والمثلة» . . وإذا كان الأعداء يمثلون بالقتلى من المسلمين . . فلا يجوز للمسلمين أن يمثلوا بالقتلى من غير المسلمين . . وإذا كان الأعداء يعذبون الأسرى أو ينتهكون الأعراض . . فهذا لا يجيز للمسلم أن يرد على ذلك بالمثل . .

ومن خلال هذه النصوص القرآنية والاحاديث النبوية نرى ان الاسلام قد سبق «البر وتوكول» العالمى بأربعة عشر قرنا من الزمان . . كما أن الأحاديث النبوية الشريفة تؤكد هذه التعاليم فيقول الرسول عليه السلام : «لا يعترضن أحدكم أسير أخيه وقتله» . . ويقول : «استوصوا بالأسرى» . . كما ورد أنه ﷺ عندما يرسل جيشا لملاقاة الأعداء كان يوصيهم قائلا : «انطلقوا باسم الله . . وعلى بركة رسول الله . . لا تقتلوا شيخا ولا طفلا ولا صغيرا ولا امرأة . . واصفحوا وأحسنوا إن الله يحب المحسنين» . . وكان يأمر المجاهدين من أصحابه ألا يبدأوا بالقتال حتى يبدأ الأعداء ويقتلوا مسلما، فيحملوه ويقولوا لأعدائهم : «هل عندكم من سبيل غير هذا . . ؟»

---

(١) سورة الحجرات .

وهكـذا نرى إن الاسـلام أول من وضـع قواعـد السلوك العـالمى . . وأسس التعـامـل الـدولى . . حيث نادى بالاصلاح الاجتـماعى بين البشـر . . بل لم يقف عند هذا الحد وإنما تجاوزه إلى النهى عن الفساد والتخريب مهما كانت الظروف . . فكثيرا ما كان النبى ﷺ يأمـر الجنـود ألا يقطعـوا شجـرا . . أو يتلفـوا زرعـا . . أو يفسـدوا حرثـا . . ضاربـا فى ذلـك أروع الأمثلة وأسماها فى نزاهة الحروب والمعارك . . . .

الدبلوماسية الاسلامية فى عهد الرسول

لئن كانت الـدبلومـاسيـة الاسـلاميـة ممتـدة ومتواصلة حتى ازدهـرت فى العصر العباسى والعصر الأموى . . إلا أننا نكتفى هنـا بالاشـارة إلى الـدبلومـاسية فى عهد الرسول بوصفها المنبع الـدافق والمصـدر الـدائم للدبلومـاسيـة الاسلامية عبر القرون والأجيـال . . لقـد كان إنشـاء الـدولة الاسلامية بالمدينة المنورة وامتداد نفوذها بالتدرج فى معظم شبه الجزيرة العربية فى حياته صلى الله عليـه وسلم ونتيجـة مجهـودات كبـيرة . . حربيـة وتشـريعيـة وسيـاسيـة . . وكـانت حصيلة النشـاط السيـاسى والـدبلومـاسى للنبى العظيم مجمـوعـة كبـيرة من الـرسـائـل والصكـوك والمعـاهدات التى تحدد العلاقة بين السلطة المركزية وبين قبائل العرب فى شبه الجزيرة والملوك فى الخارج . .

وكـان أسـلوب الـنـبـى ﷺ يحمـل طابـعـا خاصـا فى الـدبلومـاسيـة . . ذلـك لأن دبلومـاسيتـه قائمـة على الـدين والعقيـدة . . الأمـر الـذى يوجب عليـه أن يخاطب الناس جميعا على الصعيـد العـالمى لأنـه أرسل رحمة للعالمين . . ولذلك كان كل من يعتنق الاسـلام قريبـا منـه حتى ولـو كان خارج الجزيرة العـربيـة . . وكـل من يعارض الاسلام بعيدا عنه حتى ولو كان داخـل الجـزيرة العربية . . ويتمثل ذلك بوضوح فى أول موقف دبلومـاسى للرسـول صلى الله عليـه وسلم عنـدمـا جمع أهله وأقـاربـه . . ثم وقف فيهم خطيبـا . . وبـدأ كلامـه بمقـدمات صادقة . . لتلامس أعماقهم . . وتصافح وجدانهم . . ليصل من خلالهـا إلى عقـولهم فقـال : «يـا معشـر قريش . . إن الرائد لا يكـذب أهله . . والله لو كذبت النـاس جميعـا ما كذبتكم . . ولو غـرتهم ما غـررتكم . . والـذى نفسى بيـده إنكم لتمـوتن كما تنـامـون . . ولتبعثن كما تستيقظـون . . ولتحـاسبن بما كنتم تعملون . . ولتجـزون بالسوء سوءا . . وبالاحسان إحسانا . . وإنها لجنة أبدا . . أو لنار أبدا . . ثم أعلن عليهم دعوته قائلا : والله الـذى لا إلـه إلا هو . . إنى لرسـول الله اليكم خاصـة . . وإلى النـاس كافـة . . ومن خلال هذا الموقف تبرز دبلومـاسية الـرسـول ﷺ . . لما فى ذلـك من صدق المقـدمـة ، ، وروعـة التعبـير . . وقـوة الـدليـل . . وهذا كان من الصفات التى يجب على الدبلوماسى الالتزام بها فى جميع الاحوال . .

إن المتتبـع للرسـائـل النبوية الدبلوماسية التى بعث بها النبى عليه الصلاة والسلام إلى الملوك والرؤساء يلمس بوضوح عظمة الاسلوب الـدبلومـاسى . . ويرى أن هذه الوثائق تتميز بالبلاغ المبـين . . هذا ولقـد عرف النبى صلى الله عليـه وسلم أنـه كان قليـل الكـلام . . بعيدا عن اللغو . . فلا عجب أن يكون كلامه خاليا من الحشو والتكرار والزيادة . . وإذا جاء اللفظ مكررا كما جاء فى بعض المعـاهـدات فإنـما يكـون لهدف وغـايـة ، كإزالـة الغموض أو كشف الابهام أو التأكيد القاطع ليمنع أى احتمال أو تأويـل . . وهذا هو الأسلوب الأمثل للدبلوماسى الحكيم الذى يتحرى الدقة والضبط ليصبح الكلام واضحا جليا . . بعيدا عن الشك والارتياب . . .

الاطار العام لدبلوماسية الرسول

لقـد كانت التصـرفـات الدبلوماسية التى أسس لها الرسول صلى الله عليـه وسلم تتمثـل فى المؤتمـرات والمعاهدات والكتب والـرسـائـل التى بعث بها إلى الملوك والرؤساء . . . سواء داخل الجـزيرة العربية أو خارجها . . وكان الهدف الأساسى من ذلك كله هو الـدعـوة إلى الله والتعـريف بالاسـلام تحقيقا لما أمره الله تعـالى به من العمـل على نشـر الرسالة السماوية والحرص على هداية الناس . .

قال الله تعالى : «يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته» . .

المؤتمـــــــــــرات

عندما نزل قول المولى تبارك وتعالى على نبيه الكريم: «فاصدع بما تؤمر».. وقوله تعالى: «وأنذر عشيرتك الأقربين».. وقف الرسول وأخذ ينادى الناس من كل مكان.. فلما اجتمعوا خاطبهم قائلا: «يا معشر قريش أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادى تريد أن تغير عليكم.. أو كنتم مصدقى..؟ قالوا: نعم ما جربنا عليك كذبا.. فقال: «والله إنى لرسول الله إليكم جميعا».. فكان هذا التجمع بمثابة مؤتمر عام.. حيث دار فيه حوار متبادل بين الدين الاسلامى وبين أصحاب الملل الأخرى على إختلافها.. وكذلك المؤتمر الذى جمع فيه أهله وأقاربه ليخبرهم عن الاسلام.. وقد سبق أن أشرنا إليه.. ومن المؤتمرات الدبلوماسية فى عهد الرسول ﷺ تلك الوفود التى كان يلتقى بها فى موسم الحج ويأخذ عليهم العهود والمواثيق.. ومن أهمها بيعة العقبة التى تقابل فيها مع عمه العباس وجماعة من أهل يثرب.. واتفق معهم على اعتناق الاسلام ونشر تعاليمه والعمل على حمايته عندما هاجر إليهم بالمدينة.

وكان هذا اللقاء الدبلوماسى الحاسم خطوة مباركة فى مسيرة الدعوة الاسلامية.. وبداية طيبة فى سبيل الحق والنور للعالم أجمع..

المعاهـــــدات

إن المعاهدات من أبرز المعالم الدبلوماسية فى عهد الرسول عليه السلام فلقد كان لها أثر واضح فى نشر الاسلام فى كل مكان.. وتدعيم السلام فى مختلف المجالات.. وذلك بعد أن لقى النبى صلى الله عليه وسلم عنتا شديدا من قبائل مكة فى أدائه للدعوة الاسلامية.. ومحاولة القضاء على أسباب الشرك بالله.. وإزالة الجوانب البغيضة.. وغرس المبادىء المضيئة.. ورسم طريق الانطلاق والانفتاح..

ولقد حقق رسول الله صلى الله عليه وسلم شأوا كبيرا.. وسجل قبل وفاته عددا ضخما من الاتفاقيات والمعاهدات والأحلاف مع القبائل المختلفة حتى يضمن حيادها أو الانضمام إليه.. وكانت هذه المعاهدات تتسم بالطابع السياسى.. فقد اقتضت دبلوماسية الرسول وحكمته أن يحمى الدعوة ويوطد دعائم العقيدة الاسلامية.. كما كانت هذه المعاهدات تختم بخاتم الرسول الكريم..

ومما تجدر الاشارة إليه أن من أبرز كتاب المعاهدات الامام على بن أبى طالب، وزيد بن حارثة، الذى كان ترجمانا للرسول عليه السلام.. لأنه كان يجيد الفارسية والحبشية والقبطية والعبرية والسريانية...

ولقد كان بنو ضمرة من أوائل القبائل الوثنية الذين ألقوا بثقلهم مع المسلمين رغم أنهم كانوا على ديانتهم ولم يدخلوا الاسلام.. حيث كان للضرورة السياسية الاعتبار الأول فى هذه المرحلة التكوينية لنشأة الدولة الاسلامية..

ومن الواضح أن هذا كان جزءا من خطة حكيمة أساسها أن يتدرج الرسول عليه الصلاة والسلام بالدعوة.. وأن يمهد لها فى المدينة حتى تقوى شوكة الدين.. وبذلك أصبح العمل السياسى من الأسس التى توصل إلى الاستقرار..

ومما تجدر الاشارة إليه أن بعد نظر الرسول عليه الصلاة والسلام اقتضى أن يؤمن طريق الدعوة إلى الدين الحنيف.. ويحقق الأمان للصحابة والتابعين فأدخل نظام العملاء السريين وذلك لاستطلاع الأخبار.. واستجلاء الأمور لتكون تحت نظرة المسلمين.. وليكونوا على بينة من خطط الأعداء وتحركاتهم وهذه المهمة تشبه إلى حد كبير ما يقوم به السفراء فى الوقت الحاضر.. من متابعة الأحداث فى البلاد التى يعملون بها.. ثم يقومون بكتابة التقارير إلى حكوماتهم..

وممن قاموا بهذه المهمة العباس بن عبدالمطلب عم الرسول عليه الصلاة والسلام حيث كانت يستطلع أخبار مكة وأهلها من الكفار ثم يطلع الرسول عليها.. وكذلك المنذر بن عمرو بن مساعد فى منطقة نجد.. وقام بهذه المهمة من قبل عبدالله بن ابى بكر أثناء الهجرة النبوية الشريفة يوم أن كان يخالط أهل مكة ويستطلع أخبارهم ثم يذهب إلى الرسول فى غار حراء ويطلعه على نوايا الكفار..

الرسائل

كانت التصرفات الدبلوماسية التى أسس لها الرسول صلوات الله وسلامه عليه ظاهرة فى الكتب والرسائل التى بعث بها إلى الملوك والأمراء سواء داخل شبه الجزيرة العربية أو خارجها . . وكان هدفها الظاهر التعريف بالاسلام والدعوة إليه تحقيقا واستجابة لأمر الله تعالى : «يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته» . . فامتثل لهذا الأمر وبدأ فى التنفيذ . . وأخذ يبعث رسله إلى أمراء العرب وملوك الدول المجاورة مثل «هرقل» امبراطور الروم . . و«كسرى» ملك الفرس . . و«نجاشى» ملك الحبشة . . و«المقوقس» حاكم مصر . . و«الحارث» الغسانى ملك الحيرة . . و«الحارث الحميرى» ملك اليمن . .

وقد تميزت هذه الرسائل بطابع خاص بتسم بالبساطة والايجاز والموضوعية . . كما كانت تتضمن آيات قرآنية . . وقد اختار الرسول صلى الله عليه وسلم رسله وسفراءه من الصحابة الأمجاد الموثوق بهم من المؤمنين الصادقين الذين يتحلون بالسجايا الكريمة . . وحسن المظهر . . وصفاء الجوهر . . والذكاء المتوقد . . وذلك كاختياره «دحية الكلبى» وهو رجل معروف بجمال الصورة . . وهو الذى حمل رسالة النبى إلى «هرقل» . .

هذا ولئن كانت رسائل النبى صلى الله عليه وسلم كلها جديرة بالذكر لما فيها من دلائل الدقة والضبط والجلال . . إلا أننا نكتفى هنا بذكر واحدة منها لنشاهد ما لها من قوة التأثير . . وقد بعث بهذه الرسالة إلى النجاشى جاء فيها :

بسم الله الرحمن الرحيم . . من محمد رسول الله إلى النجاشى عظيم الحبشة . . سلام . . فإنى احمد الله الذى لا إله إلا هو . . الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن . . وأشهد ان عيسى بن مريم روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحصينة . . فحملت بعيسى فخلقه الله وحده لا شريك له للعبادة والموالاة على طاعته . . وأن تتبعنى وتؤمن بالذى جاءنى فانى رسول الله . . وقد بعثت إليك ابن عمى جعفرا . . ونفرا من المسلمين . . فإذا جاءوك فأقرهم ودع التجبر . . فإنى أدعوك وجنودك إلى الله . . فقد بلغت ونصحت فاقبلوا نصيحتى والسلام على من اتبع الهدى . .

وهكذا نرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت تصرفاته الحكيمة وأخلاقه السامية وصفاته الحميدة مثلا للدبلوماسية العالية . . وقد حذا حذوه الخلفاء الراشدوان ومن بعدهم حتى بلغت الدبلوماسية الاسلامية ذروتها عبر القرون والأجيال . . .